الاسترسال النّحوي الدّلالي في اللّسانيات العرفانيّة " ليونارد طالمي أنموذجا "

Grammatical semantic Continuum in cognitive linguistics

"Leonard Talmy study models"

عثمان زاهية[1]*

كليّة الآداب واللّغات – جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائرouizazahia@gmail.com

مخبر الممارسات اللّغويّة بالجزائر

تاريخ الاستلام: 14-05-2022 تاريخ القبول: 01-06-2022 تاريخ النشر:27-12-2022

ملخص البحث

منطلقنا، النظري في هذا البحث، هو علم دلالة النحو، اعتمدنا على نظريّة (ليونارد طالمي) وهي نظريّة عرفانيّة متأسّسة على اعتبار أنّ الدلالة اللّسانية دلالة تصوّريّة، أي أنّها تمثّل تصوّرًا مُبَنيَّناً في الذّهن وقائمًا على طريقة فهم شخصية للوضعيات في العالم. وعلى هذا الأساس يعرّف طالمي اللّغة: أنها النظام المبَنيِنُ للمقولات التصوّرية وهي تشكّل نظامًا عرفانيًّا مزدوجًا: نظامًا معجميًّا ونظامًا نحويًّا؛ فأمّا النظام المعجمي فيمثّل القسم المفتوح للّغة الذي يضمّ أشكالًا لسانية عدّة مثل المشتقّات الاسمية والفعلية؛ أمّا النّظام النّحوي، فيمثّل القسم المغلق الذي يضمّ أشكالًا لسانية عسيرة الاشتقاق مثل الحروف. ويكون التمثيل العرفاني مختلفًا بين النظاميْن: إذ تحدّد العناصر النّحوية القسط الأوفر من بنية التّمثيل العرفانيّ للملفوظ، وتحدّد العناصر المعجميّة القسطَ الأوفر من المضمون التصوّريّ لذلك التمثيل.

* المؤلف المرسل: عثمان زاهية

كلمات مفتاحية: اللّسانيات العرفانيّة، النّحو العرفانيّ، الدلالة العرفانيّة، الدلالة التصوّرية، الدلالة المفهوميّة، الاسترسال الدّلالي.

Abstract:

Our theoretical point in this research, is the science of grammatical connotation, based on Leonard Talmy's theory, a cognitive theory founded on the perception that linguistic connotation is a conceptual connotation, that is, it represents a constructive perception in mind and is based on a personal understanding of the situations in the world. It is on this basis that Talmy defines language: it is the system built for conceptual words and it forms a double cognitive system: a lexical system, a grammar system; The lexical system represents the open-language section that includes several tongue shapes such as nominal and actual derivatives. The grammatical system represents the closed section that includes hard-derived tongue shapes such as letters. Cognitive representation is different between the two systems: grammatical elements determine the greater part of the structure of the cognitive representation of the pulses, and lexical elements determine the greater part of the perceived content of that representation.

Keywords: cognitive linguistics, cognitive grammar, cognitive connotation, conceptual connotation, conceptual connotation, semantic Continuum.

مقدمة:

شكّل المكوّن الدّلاليّ في المقاربة العرفانيّة منعرجًا هاما في الدّراسات والبحوث اللّغويّة المعاصرة؛ ونعني هنا ما يُصطلح عليه باللّسانيّات العرفانيّة (cognitive linguistics) تحديدًا. ولئن كان هذا المبحث العامّ جامعًا لكلّ المباحث اللّسانيّة فإنّه ينقسم في الدّراسات والأعمال المعاصرة إلى قسمين أساسيّين هما الدّلالة العرفانيّة (cognitive semantic) والنّحو العرفانيّ (grammar Cognitive).إذ نجد اختلافًا في محاور الاهتمام والبحث بين القسمين، لكنّ هذا الاختلاف لا يمثّل في الواقع إلاّ اختلافًا إجرائيًّا يخفي تكاملاً في المنطلقات وكذلك النّتائج فطرائق التّحليل الدّلالي في المقاربة العرفانيّة لا تقصي المكوّن النّحويّ وكذلك بالنّسبة إلى النّظريّات النّحويّة العرفانيّة، فهي بدورها تعتمد في جانب كبير منها على المكوّن الدّلالي في رسم مناهجها وطرائق تحليلها للنّظام النّحويّ. لذلك يحتاج الوقوف على طرائق التّحليل الدّلاليّ في المقاربة العرفانيّة إلى الإحاطة بطرائق التّحليل النّحويّ العرفانيّ.

إنّ هذاّ المنعرج العرفانيّ في البحث اللغويّ يحاول مقاربة مسألة النشاط الإدراكي للإنسان من خلال اللغة، والتي يمكن تلمّسها في مستوى الاستعمال من خلال محاولة تمثّل كيفية إنتاج أنماط لغويّة دقيقة ومنسجمة مع وضعيات تواصليّة محدّدة يتداخل فيها ما هو لغويّ مع ما هو خارج لغويّ من جهة، ومن جهة مقابلة الكيفية التي يمكن من خلالها القيّام بفعل التلقيّ وهذا بقدرة الفرد على الحسابات التأليفية بين مختلف المعطيات اللغوية وغير اللغوية و التي تمكّنه من تحديد معنى محدّد ومقصود من بين كل المعاني المحتملة، وكل هذا وفق حسابات استدلاليّة دقيقة .إذن فالمسألة المطروحة هي مسألة الذهن وما يحدث فيه بالدّرجة الأولى وهو السياق العام الذي نحاول مقاربته هنا في هذا البحث محاولين تتبع بعض القضايا الأساسيّة للسانيات العرفانيّة على وجه عام والتركيز على رؤية

اللساني الأمريكي **ليونارد طالمي** لهذه المسائل على وجه أخص، مثل مسألة الاسترسال الدّلاليّ، و مسألة المعنى من المنظور العرفانيّ و مسألة النّحو العرفانيّ.

فتأتي هذه الورقة البحثية في سياق محاولة تقديم تصوّر مركّز عن الأسس العلمية والمعرفية التي أسست للمقاربة العرفانيَّة النّحويّة الدّلاليّة عند طالميّ وهذا من خلال كتابه الموسوم بـ: (نحو دلاليّات عرفانيّة) (cognitive semantics Towards a) ، والذي يعد من أهم المؤلفات في المنجز اللساني الغربي عموما و في الحقل اللّساني العرفانيِّ على الوجه الأخصّ والذي ترك أثرا بارزا من خلال التصوّرات الّتي قدّمها والمتعلّقة بالجوانب العرفانيَّة للّغة إن على مستوى الطّرح العلميّ للمسائل ذات الصّلة أو على المستوى المنهجي. فما هي الأسس التي قامت عليها المقاربة الدلاليّة العرّفانيَّة للّغة عند طالمي؟

1 . اللّسانيّات العرفانيّة؛ مفهومها وتطوّرها:

مثّلت اللّغة ميدانًا أساسيًّا للبحث في العرفان بوصفها تمثّل أهمّ المظاهر التي يمكن أن تكشف عن طبيعة الذّكاء البشريّ .لذلك استقلّ هذا المجال تحت مبحث اللّسانيّات العرفانيّة، لكنّه بقي منفتحًا على سائر المباحث من قبيل علوم الأعصاب والذّكاء الاصطناعيّ والأنثروبولوجيا anthropology وسعى إلى الاستفادة ممّا تشهده هذه المجالات من تطوّر واكتشافات، أسهمت بدورها في تطوير هذا الاختصاص وتطوير مفهومه، ونجد لهذه التّطوّرات أثرًا في تعريف هذا المبحث الذي مازال يشهد تجديدًا وتغيّرات متسارعة. تعرّف اللّسانيّات العرفانيّة بكونها "توجّهًا في البحث متعدّد الاختصاصات، ظهر سنة 1950 م في الولايات المتّحدة. ويهتمّ هذا التّوجه بالنّظر في طبيعة العمليّات الذّهنيّة في اكتساب المعارف واللّغة وطرائق استعمالها. وتهدف هذه البحوث اللّسانيّة العرفانيّة إلى الكشف عن طبيعة البنية الذّهنيّة وأوجه انتظامها، وذلك من خلال تحليل

الاستراتيجيّات العرفانيّة التي يعتمدها الإنسان في تفكيره ونمط تخزينه للمعلومات، وطريقة معالجته للّغة إنتاجًا وفهمًا" (Routledge, 1998).

وقد بقي هذا المبحث تحت تأثير العلوم الحاسوبيّة computer sciences ذات المنحى الموضوعيّ objectivist إلى حدود سنة 1970م ، إذ ستتّخذ العلوم العرفانيّة صبغة جديدة تبلورت عند التّفطّن إلى دور الجسد والمادّة في تشكيل العرفان والذّهن ليصبح الحديث عن العرفان المجسدن embodied cognition أو الجسدنة embodiment في مقابل العرفان الحوسبيّ الكلاسيكيّ.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المستوى أنّ اصطلاح "العرفانيّ" قد تمحّض في الاستعمال للإحالة على المرحلة الثّانية من التّطوّر .فقد قامت هذه المرحلة على التوجّه الطّبيعي naturelness، أو ما يعرف بالعرفان المجسدن الذي قام نقيضًا للنّظريّات الشّكلية التّوليدية generativis من قبيل نظريّة النّحو الكونيّ universal grammar لـ "شومسكي" Chomsky أو نظريّة شروط الصّدق Truth conditions والدّلالة الشّكليّة formal semantic وقد جمع لايكوف Lakoff هذه النّظريّات الأخيرة تحت ما يصطلح عليه بالمنوال الأصليّ الشّكلي The original formalist nativist pardigm (Lakoff, G) . في مقابل ذلك نجد أنّ العرفان المجسدن قائم على ما يعرف بالرّؤية المفهوميّة المشكَّلة من مجموعة من النّظريّات أو المناويل. وتتّفق هذه النّظريّات المفهوميّة في عدد من الخصائص لعلّ أهمّها عدم التّسليم بالشّكلنة في الوصف والتّحليل، ورفض اعتبار اللّغة مكوّنًا مستقلًّ بذاته عن سائر المكوّنات الذّهنيّة. وقد اعتنت هذه المقاربات بالدّلالة في جميع مظاهرها، واعتبرتها جزءًا من التّصوّرات العرفنيّة العامّة (الأزهر الزّناد، 2010) .

تقدّم اللّسانيّات العرفانيّة بفرعيْها النّحويّ والدّلاليّ جملة من الآليّات وطرائق التّحليل، تتناول من خلالها اللّغة لا بما هي نظام من العلامات مستقلّ عن سائر الأنظمة العرفانيّة من قبيل الإدراك والذّاكرة والانتباه، بل بما هي نشاط منفتح على بقيّة القدرات العرفانيّة، ويكشف جانبًا منها . فالنّشاط اللّغوي يخضع بدوره لمعطيات بيولوجيّة، وتحيط به مجموعة العوامل الاجتماعيّة والثّقافيّة.ومن شأن هذه العوامل أن تعكس طبيعة التّفكير والفهم، فكانت اللّغة بمنزلة الكوّة، من خلالها يمكن النّظر في هذه الظّواهر العرفانيّة. واستتبع ذلك أنّ اللّسانيّات العرفانيّة ليست مجرّد منوال لسانيّ لمقاربة المعنى، بل هي أقرب إلى أن تكون منوالاً نظريًّا عامًّا حول الذّهن. (Green, & .Evans, V M، 2006) فكان من أهمّ مبادئها الإشارة إلى دور الجسد في تشكيل الذّهن والتّجربة والعرفان من خلال دراسة الأبنية اللّغويّة، ورصد أسسها التّصوريّة المجسدنة، ومثّلت الدّلالة اللّغويّة أبرز حقول البحث والإجراء.

2. الدّلالة العرفانيّة في المقاربة المفهوميّة (التصوّريّة):

تعتبر الدّلالة العرفانيّة قسم من المبحث العامّ المعروف باللّسانيّات العرفانيّة فقد أضحت الدّلالة العرفانيّة تيّارًا ينازع نظريّة النّحو التّوليديّ وما سبقها من النّظريّات اللّسانيّة ذات الطّابع الموضوعيّ الشّكليّ في العديد من القضايا والمنطلقات النّظريّة، ولعلّ أهمّ هذه المنطلقات عدم التّسليم بمركزيّة المكوّن الإعرابيّ. إذ يرى الدّارسون أنّ المؤشّر الأساسيّ الذي دفع في اتّجاه تغيّر موقع الدّلالة في علم اللّغة هو مناهضة مركزيّة التّركيب /الإعراب في عمليّة الإنتاج والتّقبّل اللّغويّة. فمع التّوجّه العرفانيّ أصبحت الدّلالة بما هي عمليّة ذهنيّة أساسَ عمليّة الإنتاج والتّقبّل في استعمال اللّغة. "وقد قام هذا التّصوّر على رؤية جديدة للمعنى اللّغويّ تجاوز عند العرفانييّن المعنى المعجميّ والمعنى المتقوّم بالسّمات الدّلاليّة المجرّدة باستقراء الاستعمال، ليصبح عمليّة فكريّة تتشكّل بمقتضاها صورة من الصّور الذّهنيّة." (منانة حمزة الصّقاقسيّ، 2015) فالمعاني من منظور الدّلالة العرفانيّة لا تكون عبر شروط

الصّدق في المنطق الصّوريّ، ولا تحصل في ما يكون من التّطابق الموضوعيّ بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجيّ. إنّ المعاني عند العرفانيين تحصل في الذّهن، وتكون عبر آليّة الفهم أو المفْهمة conceptualisation. (إبراهيم بن مراد، 2003) ويرى الدّارسون أن أهمّ المبادئ التي ارتكزت إليها الدّلالة العرفانيّة يمكن أن تختزل في النقاط الأربع الآتية:

- البنية المفهوميّة مجسدنة.

- البنية الدّلاليّة بنية مفهوميّة.

- تمثيل المعنى موسوعيّ encyclopaedic.

- انبناء المعنى قائم على المفهمة (Green, M & .Evans, V، 2006).

ينفتح بعض هذه المبادئ العامّة على بعض، وينتظمها معطى مركزيّ يتمثّل في المفهوم conceptوكيفيّة حصوله في ذهن المتكلّم أو السّامع. ويمثّل هذا المعطى البناءَ النّظريّ الأساسيّ والأهمّ في النّظريّات الدّلاليّة العرفانيّة، فهو الوحدة الأساسيّة والمركزيّة في التّمثيل الذّهنيّ mental representation وقد ميّزت مركزيّة المفهوم هذه الدّلالة العرفانيّة عن غيرها من النّظريّات الدّلاليّة الشّكليّة المعتمدة على التّفكيك الدّلالي semantic decomposition ذلك أنّ المفهوم يساوي المعاني الحاصلة في التّعبير اللّفظيّ في الدّلالة العرفانيّة .إذ يمكن للمفاهيم أن تنطبق على المقولات المختلفة المجرّدة أو المادّية التي نعاينها في التّجربة (مثل مفهوم الكرسيّ أو الحبّ) ويمكنها كذلك أن تنطبق على الأفراد من قبيل أسماء الأعلام (سيبويه مثلا) في حين أنّ العبارات.

من منظور الدّلالة الشّكليّة لا تحيل إلاّ على أشياء نسبيّة محدّدة، يضبَطُ مضمونها بحزمة من السّمات الدّلاليّة semantic features أو المعينمات semes ، ثمّ إنّ من المبادئ الأساسيّة التي ركّزتها

الدّلالة العرفانيّة أنّ المفهوم لا يكون حادثًا في الذّهن وحدة ذرّية منعزلة، وإنّما يفهم (من قِبَل المتكّلم أو السّامع) في سياق الخلفيّات المفترضة للأبنية العرفانيّة التي تشكّله (Clausner Timothy C. and WilliamCroft:،، 1999). هذه الخلفيّات تقصيها المقاربة الشّكليّة للّغة أو ما يعرف بالمقاربة المنظوماتيّة القائمة على جملة من المبادئ النّظريّة الموضوعيّة. ويمكن أن نعرض في ما يلي أهمّ هذه المبادئ:

– اللّغة نظام عرفانيّ منغلق مستقلّ عن سائر الملكات العرفانيّة.

– منظومة اللّغة خاضعة بدورها إلى أبنية منظوماتيّة داخليّة (صرف–صوتميّة، تركيبيّة، دلاليّة).

– الدّلالة اللّغويّة مستقلّة عن السّياق اللّغويّ، بمعنى أنّ المعارف الدّلاليّة مستقلّة عن الاستعمال (التّداوليّة).

– معاني الجمل مرتبطة بالعالم الخارجيّ وفق منوال موضوعيّ خاضع لشروط الصّدق (التّطابق) حيث يوصف المعنى وفق لغة واصفة metalanguage منطقيّة؛ أمّا العبارات المجازيّة فهي استثناء.

فاللّغة من هذا المنظور نظام مستقلّ عن بقيّة الأنظمة العرفانيّة، وما هو إلاّ نظام رمزيّ متعال عن الواقع والتّجربة .أمّا في المقاربة العرفانيّة فاللّغة نظام محايث للتّجربة، وله فيها الخلفيّات والأسس التي يستمدّ منها دلالاته ومعانيه.

2–1–البنية الدّلاليّة بنية مفهوميّة عند طالمي:

يقول **ليونارد طالمي Talmy**: "إنّ البحث في الدّلالة العرفانية هو بحث في المحتوى المفهوميّ وكيفيّة انتظامه داخل اللّغة." (Talmy, 2000) ويذهب **رونالد لانقاكير .R**

Langackerإلى أنّ معاني العبارات اللّغويّة تكمن في المفْهمة، وهي عمليّة متعلّقة بكلّ مظاهر التّجربة الذّهنيّة القديمة أو الحادثة، ولا تقتصر هذه العمليّة على المفاهيم المجرّدة، بل تتجاوزها إلى المفاهيم الحسّيّة الحركيّة sensorimotor والانفعاليّة emotional، وتنظر في دلالات المفاهيم اللّغوية وتحوّلاتها عبر التّاريخ، وحسب التّغيّرات الفيزيائيّة واللّغويّة والسّياقات الثّقافيّة والاجتماعيّة. "بحيث يكون المعنى اللّغويّ مظهرًا من مظاهر البنية المفهوميّة التي هي طبيعة تمثيلاتنا الذّهنيّة وطبيعة انتظامها بكلّ ما تتوفّر عليه من ثراء واختلاف."(Langacker, 2004) فالرّؤية المطروحة من هذا المنظور تتمثّل في كون الدّلالة جزءًا من النّظام المفهوميّ بمختلف مظاهره وطرق معالجته للأشياء والأحداث والظّواهر في العالم من حولنا، ولا يقتصر الأمر على اللّغة فحسب، بل ينطبق على جميع الأنظمة العلاميّة وأنماط التّعامل مع ما يحيط بنا من الظّواهر والمعلومات والمفاهيم. وقد أوجد المنظّرون في اللّسانيّات العرفانيّة عمومًا والدّلالة خاصّة مناويل مختلفة ومقاربات متنوّعة، سعوا من خلالها إلى تبيين مظاهر الارتباط بين ما هو دلاليّ لغويّ رمزيّ من جهة، وما هو مفهوميّ إدراكيّ perceptual من جهة أخرى.

إنّ النّظريّات العرفانيّة في النّحو والدّلالة لا تميّز تمييزًا مطلقًا بين ما هو نحويّ وما هو دلاليّ، ولعلّ أبرز دليل على ذلك أنّ **لانقاكير** مؤسّس نظريّة النّحو العرفانيّ في كتابه (تأسيس النّحو العرفانيّ) (grammar Foundation of cognitive) الصّادر سنة 1987 ، قد أفرد فصولاً متعدّدة فيه للحديث عن الدّلالة المفهوميّة في إطار نظريّة المجال حتّى يبيّن تفاعل الدّلالة والنّحو وعدم وضوح الحدود بينهما. وهو يذهب إلى أكثر من ذلك حين يشير إلى أنّ المقولتين النّحويّتين الأساسيّتين (الاسم والفعل) في حدّ ذاتهما تحتاجان تعريفين دلاليّين بشكل مفهوميّ وما قبل مفهوميّ، يقول: "لقد بات، إلى حدّ الآن، من المقبول على نطاق واسع كون التّوصيفات المفهوميّة ممكنة للأعضاء المركزيّين أو لطّرازيّين في المقولات الأساسيّة. فالاسم الطّرازيّ، إذن، هو اسم

يجري علمًا على شيء مادّيّ (مثل ملعقة، سيّارة، كلب، مطريّة). ويكون الأمر كذلك في الأفعال الطّرازيّة بأن تعيّن الأعمال والأحداث (جرى، انفجر، ضرب). أمّا **ليونارد طالمي** فقد سطّر نظامًا نحويًّا عرفانيًّا كان مركز اهتمامه بالرغم ممّا يشير إليه عنوان كتابه المذكور. وقد بيّن خلال عرضه لهذا التّصوّر مدى الاسترسال والتّفاعل بين الدّلالة والنّحو.

3.الاسترسال النّحويّ الدّلاليّ عند طالمي:

يدرج طالمي في نظام تشكّل الأشياء في مختلف المجالات (الزّمان والمكان وغيرهما) مقولتين مترابطتين تهمّان الاسترسال بوجه من الوجوه هما حال التّحديد ومقولة حال القسمة، تتضمّن مقولة حال التّحديد مفهومين هما التّحديد وعدم التّحديد، فالكمّيّة غير المحدودة كمّيّة متواصلة لا تتضمّن سمة الانتهاء وعلى خلافها تكون الكمّيّة المحدودة.

وتنقسم الوحدات المعجميّة في ضوء ذلك إلى وحدات دالّة على كمّيات محدودة وأخرى غير محدودة، كما يجري بوسائل نحويّة، تحويلُ الوحدات المعجميّة من حال التّحديد إلى عدمه أو العكس. وتنقدح بعمليّة التّحويل من حال غير المحدود إلى المحدود عمليّة عرفنيّة قوامها التّحديد بمعنى اقتطاع قسم من كلٍّ غير محدود يتحوّل بمقتضاه ذلك القسم إلى كمّيّة محدودة واقعة في مركز العناية. يكون ذلك بأدوات من قبيل (بعض) جارية على الأسماء (ومن إلى/حتّى) أحدهما أو كليهما، على الأحداث.

أمّا مقولة حال القسمة فتتعلّق بالتّقطيع الدّاخليّ من الكمّيّة: تعتبَر الكمّيّة مركّبة أو متفاصلة الأبعاض تفاصلا داخليّا، كلّما تضمّنت حدودا أو مقاطع أو كسورا في مكوّناتها وتُعتبَر الكمّيّة مسترسلة (داخليّا) كلّما كانت على خلاف ذلك. وتتوزّع الوحدات المعجميّة والنّحويّة في

ضوء ذلك إلى قسمين: قسم مركّب الأبعاض متفاصلها من قبيل [الرّمل] في الأشياء و[التّنفّس] في الأحداث وقسم مسترسل من قبيل [الماء] في الأشياء و[النّوم] في الأحداث.

وتتوفّر وسائل بها ينتقل تصوّر المفهوم من مسترسل إلى مركّب متفاصل والعكس صحيح. فمن الأوّل أدوات أو مركّبات تسِم المفهوم بكونه تجمّعا لعدد من الأبعاض الكثيرة كما في [هباءات الماء] أو[قطرات الماء]، ومن الثّاني أدوات أو مركّبات تسِم المفهوم بكونه كتلة واحدة مسترسلة كما في [كثيب من الرّمل] أو [نام زيد ساعة] وما شاكل ذلك. وتتقاطع المقولات الأربع (المركّب والمتفاصل، المحدود وغير المحدود) في المفاهيم القائمة على التّعدّد من حيث كمّها. فيكون المتعدّد أربعة أنواع: (الزّناد، 2005)

أ- **المتعدّد المتفاصل غير المحدود:** يكون في الأشياء من قبيل [رمل] و[أثاث] ويكون في الأحداث من قبيل [تنفّس] و[خفَقان]. فالرّمل والأثاث متعدّدان في المكوّنات دون تحديد للكمّ ومكوّنات الواحد منهما متفاصلة هي الحبّات أو القطع وكذا التّنفّس والخفقان متعدّدان في أبعاضهما وهي فيهما متفاصلة إذ التّنفّس شهيق وزفير والخفقان جيئة وذهاب على وتيرة ما، وكلاهما غير محدود إذ لا يتضمّنان حدّا تنتهي عنده الحركة.

ب- **المتعدّد المسترسل غير المحدود:** يكون في الأشياء من قبيل]ماء[وفي الأحداث من قبيل [نوم] و[سير]. فالماء متعدّد في تكوّنه مسترسل الأبعاض لا تفاصل بين أجزائه ولا تتضمّن عبارة [ماء] حدّا للكمّيّة، وكذا النّوم عمليّة متعدّدة لا تفاصل بين أبعاضها ولا حدّ لها. **المتعدّد المتفاصل المحدود:** يكون في الأشياء من قبيل [عائلة] وفي الأحداث من قبيل [صلَع]. فالعائلة تتضمّن أفرادا متفاصلين وهي محدودة في مستوى ما، وكذا تساقط الشّعر من على الرّأس في الصّلع عمليّة قائمة على التّعدّد بتعدّد الشّعرات المتساقطة، وهي متفاصلة والعمليّة محدودة بكمّية الشّعر.

ج- المتعدّد المسترسل المحدود: يكون في الأشياء من قبيل [بحر] وفي الأحداث من قبيل [إفراغ]. فالبحر متعدّد في أبعاضه لا تفاصل بينها وهو فضاء محدود مطلقا أو حدّا جغرافيّا، وكذا الإفراغ عمليّة تقوم على التّعدّد في الموضوعات، مسترسلة محدودة بما يتمّ إخراجه من الوعاء من ماء أو غيره، وإزاء المتعدّد يكون المفرد في الأشياء والأحداث من قبيل [شجرة] و[غلق] وما إلى ذلك. ويمكن إجمال توزّع الوحدات المعجميّة وفق المدخلين حال التّحديد وحال القسمة في: (الزّناد، 2005)

		حال	**التّحديد**
		المحدود	**غير المحدود**
المتعدّد	**المسترسل**	**بحر- إفراغ**	**ماء – سيْر**
	المتفاصل	**عائلة- صلَع**	**رمل – خفقان**

(الزّناد، 2005)

وقد عني **طالمي** في هذا السّياق بما به يكون تحويل المفهوم من صنف إلى آخر ضمن الشّبكة المعروضة في وبما يصحب ذلك من عمليّات عرفنيّة في المعالجة تكون في العادة على عدد من المحطّات. ومن وسائل هذا التّحويل النّحويّة أبنية الإفراد والتّثنية والجمع وما من اسم المرّة واسم الواحدة في العربيّة ومن وسائله كذلك الوحدات المعجميّة المفيدة للتّجزئة من قبيل [بعض] و[كلّ] و[جلّ] وما إليها.

يسعى **طالمي** في مقاربته الدّلاليّة إلى البرهنة على وجود استرسال نحويّ معجميّ دلاليّ، فهو ينفي وجود اختلافات مبدئيّة بين النحّو أو ما يصطلح عليه بـ (القسم المغلق) والمعجم (القسم المفتوح) (ثريّا السّكري عامر، 2009) . تعدُّ قضيّة القسم المغلق والقسم المفتوح نسبيّة وتبقى مجرّد

اصطلاح إجرائيّ، فالنحّو أو ما يصطلح عليه طالمي بالقسم المغلق ليس مغلقا نائيّا، فهو نظام خاضع للتّغيّر بالإضافة أو الحذف، ويكفي هنا أن نشير إلى ظاهرة الإنحاء grammaticalization، حيث يمكن أن تضاف عناصر جديدة لهذا القسم غير أنّه يميّز في هذا السّياق بين نوعين من المعنى:

-المعنى الخطاطيّ meaning schematic المتحقّق عبر المقولات النحّويّة .

- المعنى الثّريّ الذي تشكّله الوحدات المعجميّة ودلالتها.

يمثّل المعنى الخطاطيّ النّاتج عن المقولات النحّويّة هيكلًا ينضّد المعنى الثّريّ، لا من حيث طبيعته الشّكليّة، بل من خلال ما تنضوي عليه هذه الأبنية والقيود من مفاهيم تتعلّق بظواهر عرفانيّة إدراكيّة من قبيل القدرة الانتباهيّة والمنظوريّة، أو بما تعلّق بهذه الظّواهر من مجالات ما قبل مفهوميّة، مرتبطة بالجسد وتجربته. (الزّناد، 2005) ويُعدُّ الفضاء والزّمان أهمّ هذه المجالات. فكلاهما يمثّل مجالًا أوّليًّا أساسيًّا domain basic primary. ويربطهما **طالمي** بالتّعبير اللّغويّ من خلال اعتماد مفهوم الكمّيّة quantity الموجود في كليهما؛ إذ نجد في مجال الزّمن الكمّيّة متجسّدة في الحركة، أمّا طبيعة الكمّيّة الموجودة في مجال الفضاء فتتجسّد في المادّة (matter). وتكون هذه المفاهيم في المجاليْن إمّا مسترسلة أو متفاصلة discrete كما يبيّن الجدول الآتي:

المجال	مسترسل	متفاصل
الفضاء المادّة	كتلة **mass**: الطّعام، الحيوان، السّحاب	شيء: تفاحة/ سيّارة
الزّمان الحركة	نشاط **activity**: نام/ مشى	عمل معيّن **act**: زفر/ سعل

(صابر الحباشة، 2019)

ويرى **طالمي** أنّ هذين المجالين ينعكسان في مستوى الفهم بالطّريقة نفسها التي تعكس بها الأنظمة النحّويّة الأفكارَ والتّمثيلات العرفانيّة؛ فالأفعال والمركّبات الفعليّة تمثّل معروضًا لمقولات من مجال الزّمان نشاط/ عمل؛ أمّا الأسماء والمركّبات الاسميّة فتمثّل معروضًا لمقولات من مجال الفضاء كتل/ أشياء. لكنّ هذه المسائل غير ثابتة، وتخضع لما يصطلح عليه طالمي بالتّناوب المفهوميّ conceptual alternativity (Evans, V. & Green, M، 2006)

ودليل ذلك أنّ المقولات النحّويّة الاسميّة/ الفعليّة مثلًا، يمكن أن تتغيّر في سياق الاستعمال، فالعمل أو النشّاط المقترن بالزّمان م1 يمكن أن يتحوّل إلى شيء أو مادّة مقترنة بالفضاء م2 تفهم من خلاله:

-مَ1- **أقرضه** المصرف مالًا. [عمل مسترسل].

-م2- قدّم المصرف **قرضًا**. [كتلة، مسترسل].

ويذهب **طالمي** إلى التّفصيل في هذا الجانب من خلال ضبط الأنظمة الخطاطيّة المسؤولة عن هذا التّنضيد وهي على التّوالي: نظام تشكّل البنية configurational structure system والنظّام المنظوريّ system perspectival والنظّام الانتباهيّ attentional system ونظام القوّة الدّيناميّة (dynamic system-force).

أ– نظام تشكّل البنية: ينضّد هذا النظّام الخصائص الزّمانيّة والمكانيّة لمشهد معيّن، ويتضمّن بدوره أربعة أنظمة صغرى تتمثّل في وضعيّة الكمّيّة ودرجة الاتّساع ونمط التّوزيع والمحوريّة.

–**وضعيّة الكّميّة:** نجد فيها ثلاثة أنظمة صغرى أو حالات أوّلها حال التّعدّد، وهي مقولة تنطبق على الأفعال مجال الزّمان كما تنطبق على الأسماء مجال الفضاء؛ لنجد المفرد (uniplex) والمتعدّد (multiplex).

–**الأسماء:** هي – بحسب طالمي– إمّا معدود أو كتلة، ويخضع الصّنفان لمقولة العدديّة هذه:

- سماء [كتلة، مفرد] ..... سماوات [كتلة، متعدّد.]
- ولد [معدود، مفرد] .....أولاد [معدود، متعدّد.]

–الأفعال: يمكن أن تكون مسترسلة أو متفاصلة، وتخضع بدورها لمقولة العدديّة في مسألة المظهر النحّويّ وكذلك المظهر المعجميّ الدّلالي، فالفعل من قبيل توفّي مفرد بطبيعته ولا يحدث إلاّ مرّة واحدة. وكذلك تستمدّ بقيّة الأفعال مفهومها عبر التّفاعل النحّويّ الدّلاليّ:

– بكى زيد [فعل ماض منقض] يمثّل حقيقة واحدة فهو مفرد.

- كان زيد يبكي فعل استمرّ في الماضي وانقضى كان+ فعل ماض= متكرّر، فهو متعدّد.
- زيد يبكي فعل مضارع غير منقض: متكرّر متعدّد.

أمّا حال التّحديد فتعنى بالمحدّد وغير المحدّد من الأسماء والأفعال:

الأسماء: نجد من الأسماء ما هو محدّد bounded ومعدود من قبيل كرة، كرسيّ، فتاة وما هو غير محدّد unbounded كتلة من قبيل هواء، وماء وضجيج.

–الأفعال: تقترن بمجال الزّمان ومنها المنقضية المحدّدة غادر زيد القاعة، ومنها غير المنقضية وغير المحدّدة يغادر زيد القاعة.

أمّا حال القسمة فترتبط بالتّقطيع الدّاخلي segmentation internal للكمّيّة، وتتضمّن مقولتي الاسترسال والتّفاصل وتتقاطع مع المقولات الخطاطيّة المذكورة سابقًا، ويمكن أن نمثّل لها بالأسماء الآتية: الهواء [اسم كتلة، غير محدّد، مسترسل]. الأثاث [اسم كتلة، غير محدّد، متفاصل.]

–درجة الاتّساع extension of degree: يعنى هذا النظّام بكيفيّة تصوّرنا للزمان أو الفضاء من خلال المساحة، وهو يتقاطع مع مقولة التّحديد.

–مجال الفضاء (الأسماء): نجد فيه تصنيفًا إلى نقطة point، واتّساع محدّد bounded extent واتّساع غير محدّدunbounded extent. ونمثّل لذلك بـ:

–مدينة تونس نقطة.

–القارّة الإفريقيّة اتّساع محدّد.

–الكون/المجرّة اتّساع غير محدّد.

–مجال الزّمان (الأفعال):

- تشرق الشمس الساعة السّادسة نقطة.
- تشرق الشّمس بين السّادسة والسّابعة اتّساع محدّد.
- تشرق الشّمس كلّ يوم اتّساع غير محدّد.

–نمط التّوزيع: تهتمّ هذه المقولة بكيفيّة توزّع المادّة في الفضاء والحركة في الزّمان، ونجد فيها من الأسماء والأفعال الأصناف الآتية:

- ما يقع مرّة ولا يتكرّر [توفّي، ولدِ/ الوفاة]
- ما يقع مرّة ويتكرّر [ذاب، ذوبان.]
- ما يكون دورًا cycle [طاف، تمايل، الطّواف.]
- ما يكون حالة ثابتة [أسلم، نام، يدرس.]
- ما يكون متعدّدًا [تنفّس، التّسبيح.]

–المحوريّة axiality: يمثّل لها طالمي بمغيّرات الدّرجة أو المسوّرات في الإنجليزيّة نحو almost, slightly. وقد نجد ما يقابلها في العربيّة من قبيل قليلًا، كثيرًا، جدًّا.

ب– النّظام الانتباهيّ: ينبثق هذا النظّام من الطّبيعة الجسديّة الإدراكيّة للإنسان ويحتكم بدوره إلى ثلاثة عوامل تتمثّل في قوّة الانتباه وبؤرته، ثمّ نمط الانتباه:

قوّة الانتباه وبؤرته: هما عاملان متقاطعان، حيث ترتبط قوّة الانتباه بمدى النتّوء أو البروز prominence الذي يمثّله المشاركون في مشهد معيّن تعرضه عبارة ما أو جملة. يخضع هذا البروز إلى نظام الوجه والخلفيّة organisation ground-figure. ومن أمثلته إطار الحدث التّجاري الذي يمكن أن يبرز مشاركين دون غيرهم: اشترى عمرو سيّارة من زيد. البروز لعمرو. باع زيد سيّارة لعمرو. البروز لزيد.

يقوم هذا التّنضيد على نظام ترتيب الكلم داخل الجملة يصطلح عليه **طالمي** بالأيقونيّة النحّويّة iconicity grammatical .كما ينضّده دلاليًّا التّضاد الدّلاليّ المعجميّ بين باع/ اشترى.

نمط الانتباه: نجد في هذا النظّام بؤرة الانتباه التي أشرنا إليها إلى جانب نافذة الانتباه ومستواه. وتختلف نافذة الانتباه عن نظام الوجه والخلفيّة، وقد ترتبط بالسّلوك النحّويّ في مستوى المتمّمات التي يمكن أن تكون ضروريّة أو اختياريّة في ارتباطها بالمشهد المعبّر عنه كما هو الحال في الأمثلة الآتية:

- وضعيّة بداية: انطلقت الرّصاصة من البندقيّة.
- وضعيّة وسط: انطلقت الرّصاصة في الهواء.
- وضعيّة ناية: استقرّت الرصّاصة في الهدف.

أمّا بالنسّبة إلى مستوى الانتباه فينضّد بؤرة الانتباه التي يمكن أن تكون كلّية جشطلتيّة، مثل قولنا غابة الأشجار جميلة، أو مكوّنيّة كما في قولنا أشجار الغابة جميلة.

ج– النّظام المنظوريّ: ويعتمد **طالمي** (Talmy، 2000)، مقولة خطاطيّة أخرى في نظام تشكّل الأشياء هي مقولة درجة الامتداد من حيث كانت مقولة معاظلة لمقولة حال التّحديد. والامتداد يهمّ البعد الخطّيّ في تصوّر المفاهيم المدلول عليها بالعناصر المعجميّة وما يمكن أن يؤول إليه في حال الجريان في مركّبات أوسع ويجعل لهذه المقولة فروعا ثلاثة على عدد الدّرجات المتصوّرة في الامتداد على محور خطّيّ: النّقطة، الامتداد المحدود، الامتداد غير المحدود.

أ–النّقطة: تكون في الأشياء من قبيل [حبّة] و[نقطة] و[ثانية] (في قياس الزّمن) وفي الأحداث من قبيل [كسْر] و[غلْق] وغير ذلك.

ب–الامتداد المحدود: يكون في الأشياء من قبيل [سلّم] و[شهْر] و[ثانية] وفي الأحداث من قبيل [سهَر] و[مبيت] وغير ذلك.

ج–الامتداد غير المحدود: يكون في الأشياء من قبيل [نهر] و[طريق] وفي الأحداث من قبيل [ذهاب] و[طيران] وغير ذلك.

ويتشكّل من أنظمة ثلاثة يتعلّق أوّلها بالموضع والمسافة، ويتعلّق الثّاني بالمظهر، أمّا الثالث فيتعلّق بالاتّجاه.

–الموضع والمسافة: المقصود بهما المسافة التّصوّريّة بين المتكلّم والسّامع والمشهد الموصوف، وتنضّده نحويّا المشيرات المقاميّة نحو أسماء الإشارة القريب: هذا ،البعيد: ذاك، والظّروف القريب: هنا، البعيد هناك.

–المظهر ويحدّد نقطة النظّر هل هي ثابتة أو متحرّكة:

إذا كانت هذه النقّطة ثابتة فإنّ مظهر المنظوريّة يكون مجملًا synoptic مثل:

نظر نظرة في النجّوم.

إذا كانت هذه النقّطة متحرّكة فإنّ المظهر يكون تتابعيًّا مثل: أخذ ينظر في النجّوم.

الاتّجاه: يرتبط بالحدث أو المشهد الموصوف وكيف تتمّ رؤيته من نقطة النظّر حيث يمكن أن يكون استباقيًّا prospective نحو قولنا في المثال الأوّل:

أكمل زيد درسه قبل أن ينام.

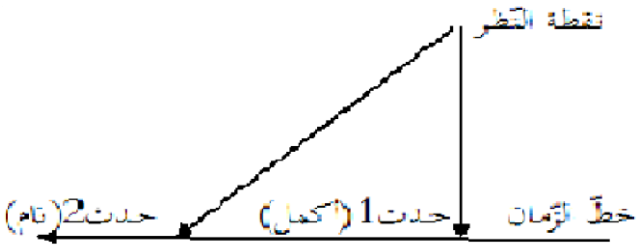

نام زيد بعد أن أكمل درسه

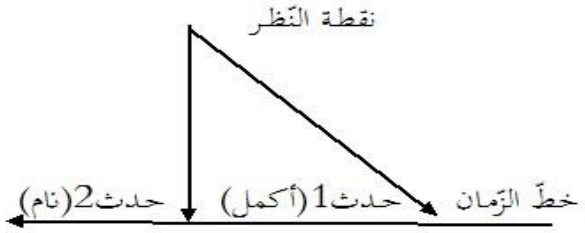

(صابر الحباشة، 2019)

د- نظام القوّة الدّيناميّة: تقوم خُطاطة القوة في تصوُّر "**ليوناردو طالمي**" على تفاعل كيانين على الأقل، أولهما هو المعاني (agoniste) بلغة طالمي، وثانيهما المعارض (antagoniste)، وكل واحد منهما (المعارض والمعاني) يمارس ضربا من القوة ويميل إلى اتّجاه معّين، اتّجاه نحو الحركة أو اتّجاه نحو السكون وللقوّتين المتعارضتين درجتا قوة مختلفتان، والقوة الأضعف منهما تخضع للقوة الأقوى وبهذا التعارض في القوة نتائج ،فالمعاني إمّا أن ينتهي إلى الحركة؛ وإمّا ينتهي إلى السكون. (البوعمراني، محمّد الصّالح، 2009)

إذن فخطاطة القوة مبنيّة على ثنائية "المعارض" وهو الأقوى و"المعاني" الذي تسلط عليه القوة، ويكون الأضعف في مثل قولنا: (أغلق الباب) فالمعاني هنا الباب أمّا المعارض فهو من يمارس قوة الاغلّاق على الباب فيحركه من حالة الحركة إلى السكون. هذا ما يحدث أيضا لتفكيرنا، حيث

تتجلى القوى المختلفة لتفكيرنا في تجاربنا اليومية عبر فرض بعض المعاني على الأخرى والازمها ألفاظنا وسياقات لغوية، الخطاطة كفيلة بتنظيمها ومُناسبتها.

فالخطاطة تلعب دوار أساسيا في تنظيم المعاني المختلفة للوحدة المعجمية، فتعدد المعنى ليس أمرا اعتباطيا، وتحولات معنى الوحدة المعجمية على ما بينهما من اختلَّاف تخضع لانتظام مخصوص، (البوعمراني محمّد الصّالح) أي أن اختلَّاف معاني الوحدة اللغوية وتعدّدها أمر طبيعي لمَلَكَة الذهن البشري، ففي الوقت نفسه تحمل هذه الأطر المعرفية خلفيات الفكر ، فإذا تأمّلنا خطاطة القوة في التّصوُّر يتلخّص هذا النظّام في طبيعة التّفاعل الفيزيائيّ بين الكيانات في الخارج، ونتمثّلها في نظامنا المفهوميّ من خلال ثنائيّتي (المعاني) (والمعارض)، يدرسها طالمي في إطار دلالة الجعليّة causation. ويمكن أن تدرس في العربيّة بالنظّر في مقولات التّعدية واللّزوم. وتتوسّع هذه المقولة استعاريًّا في أمثلة متعدّدة قد تحملها معظم العبارات اللّغويّة في المستوى الدّلاليّ التّداوليّ.

المعاني والمعارض بحسب اصطلاح طالمي والتفاعل بينهما تبرره خاصيّة التعدية في الفعل "حرق" مثلا، وهي خاصيّة مميّزة لكل حالاته الاستعمالية، وفي الحالة التي يرد فيها لازما فإنّ حالة اللزوم فيه ليست مطلقة بما أنّها تختزل حالة تعدية مقدرة "حرق النابُ النابَ" وحالات البناء للمجهول في "حُرق الثوب والشعر" من جهة أخرى ، تفترض في عمق بنيتها الدلاليّة حالة تعدية لا حالة لزوم .تشترك من جهة أخرى في طبيعة العلاقة بين المعارض والمعاني فالمعارض في كل حالة يمارس قوة ديناميكيّة dynamic force على المعاني هي" سبب " في ما يطرأ عليه من تغيير ينقله من حالة حركة إلى حالة سكون أو العكس، وتخوّل هذه القوّة تجميع حالات الاشتراك تحت نظام خطاطيّ يوحدها وينظّم ما بدا فوضويا في معانيها.

تختلف نتائج تلك القوّة باختلاف طبيعة القائم ذاته، نسجّل ذلك الاختلاف كما يلي:

-حرق النابُ النابَ :أحدث صوتا.

-حرق الحديد :غيّر شكله.

-حرق الشعر :تقطّع.

-حرقت النار الشيء /حرق قلبه/البنزين :ألهبه وأتلفته

-حرق الإقامة :التجاوز

واختلاف تلك النتائج وتضاربها (حسيّ، مجرد، مسموع، مرئي، متخيّل حقيقيّ) هو الذي من شأنه أن يخفي أوجه الترابط التي يمكن أن تقوم بين حالات التعالق المختلفة، وهكذا يجوز فعلا أن نتحدّث عن شبكة خطاطيّة معقدّة تقوم على مجموعة من التصوّرات يمكنها أن تفسّر حركيّة التحوّل الدّلالي للفعل "حرق" في المعجم.

4- **خاتمة:**

من خلال هذا العرض الموجز لأهم الأسس الّتي ركّز عليها **ليونارد طالمي** في مقاربته العرفانيّة للدّلالة، نخلص إلى النّتائج التّالية:

-تمثّل هذه الأبنية الخطاطيّة تصوّرًا لمنوال تعاملنا مع اللّغة ودلالاتها باعتماد القدرات العرفانيّة المختلفة من ذاكرة وانتباه وإدراك حسّي حركيّ. ولئن بدا هذا المنوال في ظاهره شكليًّا فإنّه يبيّن في الواقع مجموعة من الأبنية التّصوّريّة المساهمة في إضفاء الدّلالة على العبارات. ذلك أنّ دلالة عبارة ما لا تتكوّن في مضمون العبارة وما تحمله من دلالة معجميّة، وإنّما تتكوّن في طريقة انبناء العبارة وطريقة استعمالها في سياق التّلفّظ ومقام القول.

-إنّ المعنى الذي تحمله الألفاظ والعبارات اللّغوية وحتىّ الرّموز والإشارات اللّغوية تكمن في المفْهمة، وهي عملية متعلّقة بكلّ مظاهر التّجربة الذّهنيّة للإنسان ولا تقتصر هذه العمليّة على المفاهيم المجرّدة، بل تتجاوزها إلى المفاهيم الحسيّة الحركيّة والانفعاليّة وتنظر في دلالات المفاهيم اللّغوية وتحوّلاتها عبر التاريخ، وحسب التغيرات الفيزيائية واللغوية والسياقية والثقافية والاجتماعية .

-إنّ هذا النّظام المفهوميّ، لا يتعلّق فقط باللّغة وبالمعاني الّتي تحملها، بل إنّ الدلالة جزء من هذا النّظام بمختلف مظاهره وكيفيات معالجته للأشياء والظّواهر والأحداث من حولنا، وهذا النّظام المفهوميّ ينطبق على جميع الأنماط اللّغويّة وغير اللّغويّة التي تحيط بنا. وقد سعت مجموعة من الجهود المبذولة في حقل اللسانيات العرفانية إلى محاولة تبيّن مظاهر التّعالق بين الخصائص الدّلاليّة ذات البعد الرمزي اللغوي وبين ما هو مفهومي إدراكي.

-تشكّل كلّ من مكونات التّصوير الذّهني، الحركة الجسديّة، الإدراك الجشطلتي في بنية المستوى الأساسيّ للتمثّل العرفانيّ الإدراكيّ لعناصر مقولة معيّنة أو مفهوم من خلال استخدام منظوماتنا الإدراكيّة والمفهوميّة والحركيّة في حياتنا اليومية ، فتتكون جملة المعاني المحصلة في الذّهن مباشرة، وذلك بسبب الجسد ودوره من خلال تفاعله المباشر مع محيطه وتصافحه مع العالم المادي والاجتماعيّ والثقافيّ.